

لأَبكينَّ عليكِ
بدل الدموعِ دماً

الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

لأبكينَّ عليك بدل الدموعِ دماً

السيد شبيب مهدي الخرسان

إصدار

وحدة النشر الثقافي

شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

اصدارات العتبة ٣٠٠

اصدارات القسم ٢٢٥

جدول محتويات

الإهداء...

إلى...

إلهي ترددي في الآثار يوجب بُعدَ المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المُظهِر لك؟! متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟! ومتى بَعُدْتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبِّك نصيباً[1].

---

(١) مفاتيح الجنان للشيخ القمي، مقطع من دعاء عرفة للإمام الحسين (عليه السلام).

المقدمة

والحمد للّه حمداً يحصى أوله ولا ويحصى آخره والحمد للّه كلما غسق ليل ووقب نهار والحمد للّه كلما أشرقت شمس وظهر نجم وصلى اللّه على من أرسله رحمة للعالمين وبشيراً لمن يهتدي على هدى ونذيراً لمن يضل على نبيه وعلى آله وحججه على الناس أجمعين.

ليس عجباً حينما تبكي العيون دماً ولا غرابة حينما تقرح الجفون من كثرة البكاء وأنهمار الدموع على الخدود حزناً على سبط النبي صلى اللّه عليه وآله وابن بنته وسيد شباب أهل الجنة عليهم السلام، لعظم ما جرى عليه وللمصيبة التي حلت به وبأهل بيته وأصحابه وللتضحيات التي قدّمها لأجل بقاء الإسلام وتشريعاته من قتل وذبح وتمثيل وحرق وتشريد وترويع وتعذيب فينبغي للقلب أن يحزن وللنفس أن تجزع وللجسم أن يقشعر.

وعلينا إقامة المآتم حزناً على سيد الشهداء عليه السلام، وللشعراء أن يندبوا لرثاء الإمام الحسين عليه السلام.

فالثورة الحسينية ثورة ضد الظلم والطغيان، ثورة ضد الفاسدين والمفسدين، ثورة ضد يزيد الفاسق الفاجر الخمار، قاتل النفس المحترمة وحكومته المخالفة للشريعة الإسلامي، هي ثورة إصلاح، وثورة عدل، وثورة الأمر بالمعروفة والنهي عن المنكر.

احتوى هذا الكتيّب على ثلاثة فصول الأول يتحدث حول قول المعصوم عليه السلام «لأبكين عليك بدل الدموع دماً» ومن أين جاءت وما هي أصلها، وكذلك عن ظاهرة الحزن والبكاء وتحليلهما، وهل هما يصدران عن إرادة الإنسان؟ وهل الجزع على مصيبة الحسين عليه السلام جائز أم لا؟

أما الفصل الثاني يدور حول جواز أصل البكاء سواء كان لفقد حبيب أم مفارقة عزيز أم غير ذلك اعتماداً على الكتاب والسنة والعقل والواقع، وما ممارسة المسلمين لهذه الشعيرة منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله حتى الآن إلا دليل على ذلك وهي تكشف عن عدم معارضته صلى الله عليه وآله لهذا الفعل بل موافقته له من خلال قوله وفعله وتقريره وكل ذلك حجة.

وفي الفصل الثالث نتطرق إلى جواز البكاء على الإمام الحسين عليه السلام لعظم مصيبته وما حل به وبأهل بيته وأصحابه عليهم السلام من ظلم وقتل وتعذيب وقول النبي صلى الله عليه وآله في جواز البكاء عليه، بل بكى هو بنفسه عليه بأبي وأُمِّي وكذلك أهل البيت عليهم السلام الذين هم عِدل القرآن ومثلهم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى، فقد حثوا عليهم السلام على البكاء على أبي الأحرار وعقد المجالس ونصب المآتم لأجله بل جوزوا الجزع لمصيبته الذي هو مكروه في الشريعة الإسلامية على غير مصيبة الحسين عليه السلام.

السيد شبيب الخرسان

١٧/ شوال/ ١٤٣٨هـ

الفصل الأول

لأبكين عليك بدل الدموع دماً

هذه عبارة منسوبة إلى الإمام الحجة المنتظر عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف بيّن فيها شدّة تأثّره وحزنه على جدّه سيد الشهداء عليه السلام لما تعرض له من ظلم واضطهاد ذلك أنّ الجرائم التي ارتكبت في واقعة الطف تعتبر جرائم ضد الإنسانية لأنّها شملت الطفل والمرأة والرجل الكبير والمريض مما تمنعه القوانين الإلهية والشرائع السماوية وهي منافية للتقاليد والأعراف الاجتماعية إذ تجاهلت بنو أُمية تلك القوانين والأعراف حتى وصلت الخسة الأُموية إلى سحق الجسد الطاهر بالخيول بعد ذبحه من القفى، فأيّ إنسانية هذه؟ وأيّ ضمير هذا؟ وأيّ قلب متصلب متصلد هذا؟ ولذلك يصف الإمام الحجة عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف بشاعة الموقف بقوله: «لأبكين عليك بدل الدموع دماً».

فكلامه يطابق الواقع لما ولج في ذهنه المبارك تلك الصور المروعة والمأساوية من معركة الطف ولا يدرك هذا المعنى إلاّ من له المعرفة الأولية بالطب.

فحينما يحزن القلب ويتأثّر من شدة المصاب تقوم الغدد الموجودة خلف العين بتبديل الدم إلى دمع مالح وإذا ازداد المرء حزناً ازداد الضغط على القلب عند ذلك يزداد الضغط على هذه الغدد فتضعف ولا تعود قادرة على تبديل الدم إلى دمع، فيخرج من هذه الحالة الدم من العين بدل الدموع.

وقد أشار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف قبل مئات السنين إلى هذه الحالة، وأثبت العلم ذلك متأخّراً واكتشافه لهذه الظاهرة حديثة مقارنة بمقولة الإمام الحجة عليه السلام.

فهم عليهم السلام خزان العلم، ومعدن الحكمة، وما أخذوه من جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي الزيارة الجامعة المروية عن الإمام عليٍّ الهادي عليه السلام جاء قوله: «اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ، وَقادَةَ الأُمَمِ، وَأَوْلِياءَ النِّعَمِ، وَعَناصِرَ الأَبْرارِ، وَدَعائِمَ الأَخْيارِ، وَساسَةَ الْعِبادِ، وَأَرْكانَ الْبِلادِ، وَأَبْوابَ الإِيمانِ، وَأُمَناءَ الرَّحْمنِ، وَسُلالَةَ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعالَمِينَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ...».

ومن أهل البيت عليهم السلام الإمام الحجة المنتظر

عجل اللّه تعالى فرجه الشريف فعلمه من علم رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وعلمه من اللّه وعلم اللّه لا يحد بحد ولا يأطر بإطار فهو العلم المطلق.

إذن الإمام عليه السلام يبكي دماً للحزن الشديد في قلبه المبارك على جدّه الحسين عليه السلام وما ارتكبت بحقه من جرائم يندى لها جبين الإنسانية ولتأثره من شدّة المصاب وندبه صباحاً مساءً «فلأندبنّك صباحاً ومساءً» فيجف الدمع وتكون الغدد غير قادرة على تحويل الدم إلى دمع فيخرج الدم بدل الدمع.

وفي رواية عن إبراهيم بن أبي محبوب جاءت مفصلة عن الإمام الرضا عليه السلام في قضية الإمام الحسين عليه السلام وواقعة عاشوراء جاء فيها: «... يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ وَأَوْرَثَتْنَا الْكَرْبَ الْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الانْقِضَاءِ فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ فَإِنَّ الْبُكَاءَ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ...».

يتبين من هذا النص أنّ فاجعة كربلاء لا يدركها إلاّ أهل البيت عليهم السلام أمّا نحن فإدراكنا لها نسبي وناقص مهما بلغنا من الحزن والفهم والتمعن فيها لأنّها ذات أبعاد متلاطمة الأطراف لا يمكن أنْ نحيط بها بذهننا القاصر والمحدود مهما حاولنا.

إنّ الإمام الرضا عليه السلام يعلم عمق ما جرى في كربلاء كما ينبغي فهو يرى الواقعة حاضرة أمامه وكأنّها جرت أمام عينيه، ويفهم من كلام الإمام الرضا عليه السلام أنّ أهل البيت عليهم السلام جفونهم مقرحة دائماً بسبب مصاب جدّهم سيد الشهداء عليه السلام على مرِّ الدهور وليس في شهر محرم فقط لأنّ كلامه عليه السلام مطلق ليس محدداً بوقت معين والواقع يشهد بذلك فكما نحن محبّيهم وأتباعهم نعقد المجالس العزائية ليس على الإمام الحسين عليه السلام وحده وإنّما على الأئمة أجمعين عليهم السلام، فكذلك هم عليهم السلام قلوبهم محزونة ويندبونه صباحاً ومساءً وما ذلك إلا لأنّهم عليهم السلام حزينون على أحداث يوم عاشوراء دائماً وجفونهم مقروحة لكثرة بكائهم على مصاب جدهم أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهل تعلم أيها المؤمن كي تقرح الجفون؟ فإنّ جفن العين رقيق جداً بل لعلّه من أرق المواضع الظاهرية لبدن الإنسان ومن البديهي أنّ الشيء كلما كان رقيقاً كان أكثر عرضة للإصابة بالأذى أو الضرر ولمّا كان الدمع مالحاً وعند تكرار ملامسته للجفن يجرحه ولهذا قال مولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في زيارة جدّه الحسين عليه السلام: «فلأندبنك صباحاً

ومساءً ولأبكين عليك بدل الدموع دماً».

إذن قرح الجفون بمعنى جرحها بسبب كثرة البكاء وكثرة الدموع وهي ماء مالح فكثرته تسبب الجرح وهذا جواب على من أشكل وقال كيف يمكن للمصائب أنْ تقرح الأجفان؟

ثم إنّ التشكيك بأقوال أهل البيت عليهم السلام وبمنزلته ليست ولادة الساعة بل كانت موجودة في عصر الأئمة عليهم السلام أيضاً بل منذ زمن النبي صلى اللّه عليه وآله فكان هناك من يقف في وجه أقوال النبي صلى اللّه عليه وآله ويبدي نوعاً من المعارضة، وإلا من منع النبي أنْ يكتب كتاباً للأُمّة لكي لا تضل بعده أبداً غير تلك الشرذمة التي اختلفت عند مجلس نبيها ووصفوه - نعوذ باللّه - بأنّه (يهجر) مرة، و قولهم (كفانا كتاب اللّه) أُخرى وتخلفوا عن جيش أُسامه وقد لعن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله المتخلف عنه؛ إلى اللّه المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء.

ظاهرة الحزن والبكاء

الحزن هو أعم من البكاء لأنّ من يحزن ربما يبكي وربما لا يبكي والحزن والبكاء ليسا أمرين اختياريين بل هما أمران خارجان عن الإرادة المباشرة للإنسان فإذا أرادهما كان عليه أن يهئ نفسه لهما باستذكار

ما يولد في القلب من مشاعر الحزن ودواعي البكاء لأنّ شدة المصاب والحزن الشديد هما اللذان يولدان الدمع في العين.

فالإنسان يكون في حالة تفاعل تام مع الحادثة المأساوية والحزينة التي أصابته وكلما كان الاستذكار والمشاهدة العينية أشد فاعلية كلما كانت الدموع أشد غزارة بل تكون الدموع دماً كما قال الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف لكثرة الدموع النازلة فتكون خلايا التحويل التي توجد خلف العين تعجز عن تحويل الدم لسرعة جري الدموع فتضعف قابليتها على التحويل فتخرج الدموع على شكل دم.

فظاهرة الحزن لا تنفك عن الموالي عند ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام فهي أصيلة فيه وليست شيئاً عارضاً في المأتم الحسيني عندما نستذكر بشاعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه نعبر عن حزننا وألمنا لما حدث في كربلاء وقد يدفعنا الحزن في حالات كثيرة إلى البكاء لما جرى عليهم.

وبالشهادة ينال المرء أعلى الدرجات وجنات الخلد الشهيد ينتقل من الدنيا الدانية إلى الآخرة الحياة الأبدية وتبعث الفرح والسرور في النفوس لما يؤول إليه الشهيد والمنزلة الرفيعة ورضوان من الله فكذلك مصيبة الإمام

الحسين عليه السلام تبعث الفرح والسرور لولا الأمر الشرعي بالحزن والبكاء ويقرب هذا المعنى السيد ابن طاووس الذي توفي سنة ٦٦٤هـ، بقوله: (ولولا امتثال أمر السنة والكتاب في لبس شعار الجزع والمصاب لأجل ما طمس في أعلام الهداية وأسس من أركان الغواية وتأسفاً على ما فاتنا من السعادة وتلهفاً على امتثال تلك الشهادة وإلا كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى أثواب المسرة والبشرى وحيث في الجزع رضا لسلطان العباد وغرض لأبرار العباد فها نحن لبسنا سربال الجزع، وأنسنا بإرسال الدموع.

والشريعة الإسلامية وأخلاقيات الإسلام لا تشجع على إظهار الجزع للموت وللمصيبة والتفجع والجزع على الميت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الْجَزَعُ عِنْدَ الْبَلاَءِ مِنْ تَمَامِ الْمِحْنَةِ».

وقال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

فنرى الجزع مكروهاً في هذه المواقف بل في بعض مظاهره يكون محرماً.

لكن هذا لا يسري على مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بمعنى آخر أنّ البكاء والحزن والجزع والتفجع على

الإمام الحسين عليه السلام جائز.

روى أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إِنَّ الْبُكَاءَ وَالْجَزَعَ مَكْرُوهٌ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ مَا جَزِعَ مَا خَلاَ الْبُكَاءَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام فَإِنَّهُ فِيهِ مَأْجُورٌ».

إنّ هذه الرواية تؤكّد أنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ليس فقط جائزاً بل يؤجر الباكي على بكائه ويحصل على الثواب والأجر لأنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست قضية عاطفية تتفجر بالأسف والبكاء على ما فات، إنّما هي قضية دينية تمس الشريعة الإسلامية لأنّها لم تكن مجرد مصيبة فإنّها ثورة ضد الظلم والظالمين وإنقاذ الأُمّة من بني أُميّة وأعوانهم وكسر طوق الخوف والرعب والخضوع والخنوع الذي عاشت الأُمّة في ظله طوال الحكم الأموي والعباسي.

تحليل ظاهرة البكاء

نكتب التاريخ ونرويه فنصور به حياة الإنسان المكون من لحم ودم وطموح وأمل وحب وبغض وبطولة وخسة من عواطف سامية وشهوات حقيرة وبكلمة واحدة تاريخ الإنسان، فلا يتوهم البعض بأنّ

التاريخ يُكتب بلغة الأرقام، أو يُكتب كما يُكتب تقرير اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي ولا يُكتب كما يُكتب تاريخ طبقات الأرض أو تاريخ الأصنام والمتحجرات، نحن نكتب التاريخ في الأزمان والأوطان وندونه، فيقرأه الناس ويسمعون التاريخ فينقلون بما يسمعون ويقرؤون يحزنون أو يفرحون، يعجبون أو يشمئزون، وقد يتعاظم انفعالهم فيبتسمون أو تجري من عيونهم دموع الحزن والفخر والاعجاب.

إنّ فاجعة الطف فاجعة لا مثيل لها في التاريخ حيث قُتل فيها أشخاص مقدّسون كانوا في أعلى درجات الفداء والتضحية والبذل والعطاء وقتل فيها أطفال ونساء عطاشى غرباء وقُطّعت رؤوسهم وسبيت نساؤهم كل هذا من أجل الدين الإسلامي الحنيف من أجل العقيدة الحقة التي نعتقدقها - فمن حقنا كبشر سواسية أن نحزن ونشكو ويتعاظم بنا الحزن فنبكي ونذرف الدموع على أناس حافظوا على الشريعة المحمدية السمحاء من الزوال والتغيير بدماء الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه فهم الذين حافظوا على الدين الإسلامي الحنيف عندما ثاروا ضد أطغى زمرة حاكمة ظالمة لا تعرف للإنسانية معنى ولا للدين حكماً وشرعاً.

إنّ الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كتبوا التاريخ بدمائهم الطاهرة وبأفواههم التي غيرت مجرى التاريخ وأفشلت الخطط الأُموية واليزيدية وذلك من خلال الخطب التي ألقاها الإمام زين العابدين عليه السلام وعمته زينب الكبرى أُمُّ المصائب في الكوفة والشام بل في مجالس الطغاة والظلمة أمثال يزيد وعبيد اللّه بن زياد التي قضّت مضاجعهم وجعلت الجمهور في موقف مغاير على الموقف الذي أتوا به أول مرة ومن نفس الأُسرة الحاكمة أمثال هند زوجة يزيد.

إنّ وقوف أئمة أهل البيت عليهم السلام بوجه الانحراف والتجاوزات على طول الخط وكانوا هم القادة وبمواقفهم هذه وضعتهم دائماً في موضع المعارض الصامد، وكان ردُّ فعل السلطة هو العنف والملاحقة والاضطهاد لهم عليهم السلام ولأتباعهم حتى وصل الأمر إلى جميع العلويين وذلك كالذي فعله المتوكل (فقد كان المتوكل لا يبلغه أنّ أحداً برّ أحداً من آل أبي طالب بشيء وإنْ قَلْ إلا أنهكه عقوبة وأثقله غرماً).

إذن هكذا يُكتب التاريخ ويفتخر به الإنسان ذو الضمير الحي لأنّ هذا التاريخ لكل العالم لأنّ قادته قادة العالم وقضاياه قضايا عالمية، وقد أراد اللّه تعالى أن تكون عالمية باعتبار أنّ النبي صلى اللّه عليه وآله خاتم

الأنبياء ولا يمكن أن تبقى الأرض من دون إمام وقائد وحُجة وإلاّ لساخت الأرض بأهلها فبعث الله الأوصياء الذين هم امتداد للنبوة.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: «الأَئِمَّةُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْش».

فهم قادة الأُمّة وسفينة النجاة من ركبها نجا ومن تركها غرق وهوى، فهم خزان العلم ومنتهى الحلم بهم بدأ ولأجلهم خلق ومنهم نتعلم وفيهم الرحمة كما في الزيارة الجامعة «السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفَ الْمَلائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَخُزَّانَ الْعِلْمِ وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ».

ومن أجل الحسين عليه السلام فليبك الباكون وتتساقط الدموع بل نُجري بدل الدموع دماً لعظم الفاجعة ولوعتها وحزنها على ما جرى على الإمام عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام من مآسٍ تمثلت بالقتل، والذبح، والحرق، والسبي، وهي أفعال يتصدع منها القلب ويعتصر ألماً وحزناً، فليس بالغريب إنْ جرت بدل الدموع دماً كما يقول صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف وكيف لا وهذا النبي يعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من كثرة البكاء على ولده يوسف عليه السلام وهو يعلم أنّه حي

لكنه غاب عنه وهذا الإمام زين العابدين عليه السلام لا يقدم له طعام إلاّ وامتزجه بدموع عينيه فكان كثير البكاء حتى عُدَّ من البكائين.

إذن هذا هو البكاء الذي يعبر عن شدة الحزن واللوعة وعظم المصاب الذي حلّ بأبي الأحرار كما يقول الإمام الحسن عليه السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبد اللّه».

الفصل الثاني

أنواع البكاء

البكاء هو ليس ظاهرة حديثة أو متجددة إنّما هي حالة وجدت منذ أنْ وجد الإنسان على وجه الأرض فهو يتعرض إلى حالات الحزن والفرح والبؤس والسرور واليأس وهذه الحالات هي التي تؤدي إلى البكاء، فالبكاء مرة ينشأ من الفرح كما إذا التقيت مع عزيز بعد فترة فراق فتذرف دموع الفرح وأُخرى ينشأ من الحزن كما إذا فقدت عزيزاً فتفيض عيناك دموعاً وكذا في الحالات الأُخرى: (فاستيلاء الحزن على الإنسان ليس باختياره، فلا يكون ذلك داخلاً تحت التكليف وأمّا التأوه وإرسال البكاء فقط يصير بحيث لا يقدر على دفعه).

إذن البكاء ظاهرة إنسانية ينفّس بها الإنسان عما يختزنه من فرح أو حزن وما تجري عليه من انفعالات تملك إحساسه ومشاعره فيعبر عنها بالدموع.

البكاء سُنَّة

إنّ البكاء سنّة من سنن اللّه جرت على الأنبياء والأوصياء والصالحين بل على الناس أجمعين فما من

إنسان يعيش في الحياة الدنيا إلاّ ويمرّ عليه موقف مؤلم أو مفرح أو محزن فيعبر عن هذا الموقف بانفعالاته وأحاسيسه من خلال الدموع التي تنهمر من عينيه.

إنّ البكاء حالة شرعية لها مثيل في حياة الأنبياء والمرسلين ولاسيما حياة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله ويمكن أن نستدل على شرعيته بالأدلة التالية:

ĵ ǿŢǩǨdžǩł ǳYǨǛŪ ĵ ǭ ĵ ǿǥǨǛǩł Żł ţyǭ .Č

إنّ بكاء الإنسان سبب لزيادة الخشوع فقال عزّ اسمه: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً ﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا ﴾.

والبكاء شفقة ولين وخشوع ورحمة ومن يملك مثل هذه الصفات الحميدة يملك قلباً مشبعاً بالرحمة والرأفة والشعور بالطيب تجاه الآخرين بعكس الشخص الذي يملك قلباً مريضاً مملوءاً بالحقد والضغينة باتجاه الآخرين فتراه جامد العين قاسي القلب لا يرحم أخاه الإنسان كقوله تعالى في ذم المعاندين: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ فَبِما نَقْضِهِمْ مِيثاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنا قُلُوبَهُمْ قاسِيَةً ﴾.

يقول الله تعالى في وصف حاله: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

ولشدّة حزنه: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.

فهذا نبي من الله معصوم وبلا شك المعصوم لا يرتكب معصية ولا يقترف إثماً فهو يبكي ويبكي على من؟ على ولد غاب عنه وهو يعلم أنّه حي....

فنستنتج أنّ البكاء على فراق الولد جائز ويمكن أنْ نعمم من أنّ أصل البكاء جائز إلاّ ما حرّمه الشارع أو كرهه والمعبر عنه بالمصطلح الأصولي مطلق البكاء وهو جائز ولا يوجد مسوّغ بتقييده بفراق الولد ولو كان البكاء حراماً لوبَّخ الله نبيه يعقوب لكن هذه سُنّة إلهية في أنبيائه عليهم السلام (والسّنة هي قول المعصوم وفعله وتقريره) كما دل بكاء نبي الله يعقوب على جوازه وبالتالي نستدل البكاء إلا ما حرم أو كره بدليل.

وروى الزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه سأل جبرئيل عليه السلام: (ما بلغ من وَجْدِ يعقوب على يوسف: قال وَجْد سبعين ثكلى، قال: فما كان له

من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط...)، وعلق الزمخشري على الحديث قائلاً: (فإن قلت كيف جاز لنبي الله عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟ قلت: الإنسان مجبول على أنْ يملك نفسه من الحزن عند الشدائد ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يُحسَن، ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم، وقال: القلب يجزع، والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب، وإنّا عليك يا إبراهيم لمحزونون).

وفي تفسير الرازي رُوي أنّ يوسف عليه السلام سأل جبرائيل عليه السلام (هل لك علم بيعقوب؟ قال: نعم، قال: وكيف حُزْنه؟ قال: حُزْنُ سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد ثم يموت قال: فهل له فيه أجر؟ قال: نعم، أجر مائة شدي إلى أن قال... وروي أنّ ملك الموت دخل على يعقوب عليه السلام فقال: جئت لتقبضني قبل أن أرى حبيبي؟ فقال: لا ولكن جئت لأحزن لحزنك وأشجو لشجوك).

كل ما رواه الزمخشري من الأجر الكبير الذي ناله النبي يعقوب عليه السلام إزاء بكائه على ولده يوسف لفراقه وأنه يعادل أجر مائة شهيد ولم يُسيء الظن بالله تعالى وما علق على الحديث بأنّ صبر يعقوب عليه السلام قد حُمِدَ عليه وضبط نفسه حتى لم يخرج إلى ما

لا يحسن، دلّ على جواز البكاء.

وما رواه الرازي في تفسيره بأنّ حزن يعقوب يساوي حزن سبعين ثكلى وله أجر مائة شهيد ونزول ملك من الملائكة ليشارك يعقوب النبي صلى اللّه عليه وآله في شجواه وحزن فيه دلائل وقرائن تدل على جواز البكاء وأنّه جرى على أنبياء اللّه وأوليائه بل حتى على ملائكته وقد جعل ملكاً من الملائكة ينزل إلى النبي يعقوب عليه السلام ويشاركه في حزنه، هكذا هي سنة اللّه تجري وهكذا أرادها أنْ تكون.

yǾ5 Ŋʒǯ ƒ Ǵǯ Ǖ ǺǪǕ Ǵǩȡ ǴǿǪǕ Żɨ ǺǪǄ Ǽɰǅǩɨ ƊǨǦƛ .Ď ǫÊʂǩɨ ǴǿǪǕ Ɗɨɏǂ ǂ ǩɨ

عندما استشهد حمزة عمُّ النبي صلى اللّه عليه وآله في معركة أُحد، يقول ابن مسعود: ما رأينا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله باكياً أشد من بكائه على حمزة إذ وضعه باتجاه القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب أي شهق حتى بلغ الغشي مخاطباً: «يا عم رسول اللّه يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا ذاباً عن وجه رسول اللّه».

وروي أنّ صفية جاءت يوم أُحد فجلست عند رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: يبكي وهو الذي يمثل الشريعة وقوله وفعله وتقديره حجة باعتباره معصوماً وما ينطق

عن الهوى أن هو إلاّ وحيٌ يوحى، وهو يبكي لبكاء فاطمة وصفية، وتذرف دموعه الزكية على مقتل عمه حمزة ولا يمنع ولا يعارض على بكائهن بل يبكي معهن فلو كان البكاء محرماً لمنعهن ووبّخهن ولم يفعل ذلك وما هو إلاّ دليل آخر على إباحة البكاء وأنّه ليس بمحرم.

ǬǿǵƗƐƛƑ ǳyǩƥ ǺǪǕ ǴǩƋƥ ǴǿǪǕ ŻƗ ǺǪǄ ǼɰǲǩƗ ƊƘǦƛ .ď
ǳyǘƛƥ ǴơǸǭ ǰǿ€

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، وذكر دخول النبي صلى الله عليه وآله وإبراهيم يجود بنفسه قال: (فجعل عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تذرفان قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله، فقال: يا بن عوف إنّها رحمة، ثم اتبعها بأُخرى قال صلى الله عليه وآله: إنّ العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربنا وإنّا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون).

ولما قبل إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله قال لهم: (لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه، فأتاه وانكب عليه وبكى).

إنّ النبي صلى الله عليه وآله هو أعلم بالشريعة وأدرى بالأحكام الإلهية وهو المعصوم وإذا به يذرف الدموع ويبكي لموت ولده إبراهيم بل ينظر إليه بالنظرات الأخيرة وهو مكفن لتبقى هذه الصورة الأليمة الحزينة

في ذهنه المبارك، فيحزن ويعتصر القلب من اللوعة ومفارقة الأحباب، فيبكي أفلا يكون بكاء النبي صلى الله عليه وآله على ولده إبراهيم بعد موته وتكفينه دليلاً دامغاً لمن يهرج ويقول بأنّ البكاء على الميت حرام، وهو حجة بالغة لردع من يعترض على مجالس الحسين عليه السلام ويقول ما هذه المجالس التي تعقد وما هذا البكاء؟ إنّ هذا لقليل بحق الحسين عليه السلام لأنّه عليه السلام ضحى بعائلته وأهل بيته وأصحابه ونفسه الزكية لأجل الدين والإسلام وهو سيد شباب أهل الجنة وهذه المجالس والمراسيم العزائية التي يعقدُها أتباع أهل البيت عليهم السلام: (أيّدهم الله ونصرهم) ومواساةً له ولأصحابه الذين ضحوا بأغلى ما عندهم وسالت دماؤهم الزكية على أرض كربلاء لنصرة الدين وإعلاء كلمة الحق التي طمست في عهد حكام الجور، إذن فعل النبي صلى الله عليه وآله ببكائه على ولده يُجوّز لنا البكاء والحزن على فراق الأحبة بموتهم أو غيبتهم أو ما يجري عليهم من مكروه بل مطلق البكاء جائز إلاّ ما حرمته الشريعة المقدسة لأنّ قول المعصوم وفعله وتقريره حجة.

φęćy⁄5ę ƠǳƛƞƷĂƙə ÁǪŪ ǴǩǡƿǴǿǪŪ ŻƗ ÁǪǄ ǳəƘǦƛ .Đ
ǫÊʂǩƗ ǴǿǪŪ ǰǿǲǭƐƷǩƗ ƸǿǬę

ورد في كنز العمال عن عليٍّ عليه السلام (لما ماتت

فاطمة بنت أسد كفّنها رسول الله صلى الله عليه وآله ونزل في قبرها فجعل يومئ في نواحي القبر كأنّه يوسعه ويسوي عليه، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان وحثا على قبرها التراب، فلما ذهب قال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئاً لم تفعله على أحد فقال: يا عمر هذه المرأة كانت أمِّي بعد أمِّي التي ولدتني إنّ أبا طالب كان يضع طعامه فتكوّن له المأدبة وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه وإنّ جبرائيل أخبرني عن ربي أنّها من أهل الجنة وأخبرني جبرائيل أنّ الله تعالى أمر سبعين ألفاً من الملائكة يصلون عليها).

إنّ هذه المرأة جليلة وعظيمة في شأنها وفي مكانتها وفي مواقفها فهي التي كانت ترعى رسول الله صلى الله عليه وآله وتطعمه حتى قال: إنّها أمي ولذا بعد وفاتها نزل في قبرها ودعا لها وبكى عليها، فقال أبو مؤيد الخوارزمي: إنّ النبي دعى أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود فحفروا قبرها فلما بلغوا للحدها حفره رسول الله صلى الله عليه وآله بيده وأخرج ترابه بيده ولما فرغ اضطجع فيه ثم قال: (الله الذي يحيي ويميت وهو حيٌ لا يموت اغفر لأُمِّي فاطمة بنت أسد، ولقّنها حجّتها، ووسّع عليها مدخلها بحق نبيك

محمد والأنبياء الذين من قبلي فإنّك أرحم الراحمين).

وأدخلها رسول الله صلى الله عليه وآله اللحد والعباس وأبو بكر فقيل يا رسول الله: رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعت لأحد من قبل، فقال صلى الله عليه وآله: ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر إنّها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليّ بعد أبي طالب رضوان الله تعالى عليهما).

إنّ هذه المرأة قام النبي بأمور بحقها لم يفعلها لغيرها إن دلت على شيء فإنّها تدل على عظمتها ومكانتها في الإسلام لكن القوم حاولوا أن يسلبوا كل منقبة لهذه المرأة الجليلة العفيفة الطاهرة.

ولأسرتها الكريمة ولهذا النسل الطاهر لا لشيء سوى أنّها أمّ علي بن أبي طالب عليه السلام فعندهم عقدة منه عليه السلام، فهو الذي قتل أبطالهم وجندل فرسانهم لأجل كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فأحقاد بدرية وأحدية وخيبرية.

ÆÃ۹ ǰƛ ƐÄüΣ ÅǪŪ ǴǩƋ ǴǿǪŪ ŻƗ ÅǪDž ÆɯDžǩƗ DƘĞƛ .đ
ǳYèƿƍƿ ƗǩƘĂ

روى البخاري في عدة مواضع من كتابه ولعلها ستة، بكاء النبي صلى الله عليه وآله على الأمراء الذين

استشهدوا في غزوة مؤتة وذلك في السنة الثامنة للهجرة نذكر منها موضعين ففي كتاب الجنائز الباب الرابع بإسناده عن أنس بن مالك قال: (أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذها جعفر فأُصيب ثم أخذها عبد اللّه بن رواحة فأُصيب وإنّ عيني رسول اللّه تذرفان).

وفي الباب الخامس والعشرين من كتاب المناقب بإسناده عن أنس بن مالك أيضاً أنّ النبي صلى اللّه عليه وآله نعى جعفراً وزيداً قبل أنْ يجيء خبرهم وعيناه تذرفان).

هذه مصادر العامة التي تصرح ببكاء النبي صلى اللّه عليه وآله وفي كتاب صحيح البخاري الذي يعتمدون عليه ويعد من الكتب المعوّل عليها عندهم وكل ما جاء فيه يعتبرونه صحيحاً، مع كل ذلك أما آن الأوان للمخالف أنْ يرجع عن مخالفته ويسلك جادة الصواب بعد أن سمع وقرأ كتابه الذي يعتبر عنده صحيحاً بأنّ النبي صلى اللّه عليه وآله بكى في عدة مواقف وعلى عدد من الأشخاص وقول النبي وفعله وتقريره حجة بل حتى قول الصحابي عنده حجة ويعتبره من السُنَّة فيغيّر موقفه ويحكم بما أنزل اللّه وبما جاء به رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله.

وقد روى الواقدي في المغازي بإسناده عن أسماء

بنت عميس قالت: (أصبحت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتاني رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد هيأت أربعين مَنّاً من الإدام وعجنت عجيني وأخذت بنيّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا أسماء أين بنو جعفر؟»، فجئت بهم إليه فضمهم وشمهم ثم ذرفت عيناه فبكى فقلت: أي رسول الله لعلك بلغك من جعفر شيء؟ فقال: «نعم قتل اليوم»، فقالت: قمت أصيح واجتمع إليّ النساء قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً»... قالت: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول: «وا عمّاه»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «على مثل جعفر فلتبكِ الباكية»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم»).

قال: وحدثني محمد بن مسلم عن يحيى بن أبي يعلى قال: (سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله على أمّي فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهرقان الدموع حتى تقطر لحيته).

وقال أبو عمر في الاستيعاب: ولما أتى النبي صلى

اللّه عليه وآله نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر، ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول: «وا عمّاه»، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله: «على مثل جعفر فالتبكِ البواكي»).

هذا هو الإقرار من النبي صلى اللّه عليه وآله للبكاء الصادر من فاطمة عليها السلام إزاء ابن عمّه جعفر عليه السلام ولم يمنع ابنته من البكاء فهذا إمضاء منه على أنّ البكاء جائز وإلاّ لو كان مبغوضاً لمنعها من البكاء لا أنْ يقول لها (على مثل جعفر فلتبكِ البواكي) فيا من يحرّم البكاء أين أنت من أقوال النبي وأفعاله وتقاريره لا تكن كقوم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللّه أفلا تعقلون.

ʒÑüŏǭ ǰ ƛ ʒƘƷŔŪ ǺǪŪ ǴǨȹ ǴøǪŪ Żƚ ǺǪǄ ǼɯǅƙƗ ǄƘǦƛ .Ē

روى أبو داود في سننه (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللّهِ عَنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّه - صلى اللّه عليه وآله وسلم - يُقَبِّلُ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ).

وروى الترمذي في السنن (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَاصِمِ ابْنِ عُبَيْدِ اللّهِ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ - صلى اللّه عليه وآله وسلم - قَبَّلَ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ

مَيِّتٌ وَهُوَ يَبْكِي. أَوْ قَالَ: عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ).

قال أبو عيسى: حديث عائشة حديث حسن، وقال المعلق ومحمد ناصر الألباني صحيح.

أقول: هذه الأحاديث من مصادر أبناء العامة ومن كتبهم أمثال سنن أبي داود وسنن الترمذي وغيرهما ومن رواتهم الذين يعتبرون كل ما جاء في كتبهم فهو صحيح ويأخذونه بشكل معلب بدون فحص أو تدقيق أو تحقيق أمثال البخاري والترمذي ومسلم وغيرهم، فلابد لهم أن يسلموا بهذه الأحاديث وصحتها بل الألباني يقول صحيح لأنّها واردة في صحاحهم وأسانيدهم وبالتالي نصل إلى هذه النتيجة أنّ البكاء جائز ولا غبار عليه لأنّ النبي صلى اللّه عليه وآله كان يفعل ذلك.

NYKɯŪ ǰƛ yüꜱ ÅQŪ ǴKap ǴøQŪ Żƚ ÅQDž ÆɯDžkƚ DKĞƛ .ē

روى الشيخان عن عبد اللّه بن عمر قال: (اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتى رسول اللّه صلى اللّه عليه - وآله - وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد اللّه بن مسعود فلما دخل عليه وجده في غشية فقال أقد قضى؟ قالوا لا يا رسول اللّه فبكى رسول اللّه صلى اللّه عليه - وآله - وسلم فلما رأى القوم بكاء رسول اللّه صلى اللّه عليه - وآله - وسلم بكوا فقال «ألا تسمعون؟ إن اللّه لا يعذب بدمع العين ولا بحزن

القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم»).

ηϸʒĸ ƒ ǰ ƛ ɣæɛ ÅǪŪ ǴǩƋ ǴǿǪŪ Żƚ ÅǪǄ ǼɯǳǩƗ ǅĸĞƛ .Ĕ

روى عبد الرزاق في مصنفه عن عيينة عن قيس عن أنس بن مسعود قال: لما قتل زيد بن حارثة أبطأ أسامة عن النبي صلى اللّه عليه وآله فلم يأته، ثم جاءه بعد ذلك فقام بين يدي النبي صلى اللّه عليه وآله فدمعت عيناه فبكى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله فلما نزفت عبرته قال النبي صلى اللّه عليه وآله: «لِمَ أبطأت عنّا ثمّ جئت تحزننا؟»، قال: فلما كان الغد جاءه فلما رآه النبي صلى اللّه عليه وآله مقبلاً قال: «إنّي للاقٍ منك ما لقيت منك أمس»، فلما دنا دمعت عينه فبكى رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله).

فبكاء النبي صلى اللّه عليه وآله على سعد بن عبادة وزيد بن حارثة أليس بحجة؟ نعم حجة بإقرار من الطرف الآخر لأنّ البكاء فعل من الأفعال وفعل النبي صلى اللّه عليه وآله حجة وهو يعترف ويقر بذلك.

ĸƕǾƛǫ ÅǪŪ ǅĸĞɯǩƗƋ ƫǸǳǩƗ ǬǾǢơ ŋ ǂ ȟĸŪ .Čċ

قال الطبري في تاريخه: (حدثني الحارث، عن ابن سعد قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثنا أبو بكر ابن عبد اللّه بن أبي سيرة، عن عمرو بن أبي عمرو، عن

المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: جعل قبر أبي بكر مثل قبر النبي صلى الله عليه وآله مسطحاً ورش عليه الماء، وأقامت عليه عائشة النوح).

وقال: (حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنا يونس بن يزيد عن أبي شهاب قال: حدثني سعيد بن الميس قال: لما توفي أبو بكر أقامت عليه عائشة النوح، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر، فأبين أن ينتهين فقال عمر لهشام بن الوليد: أدخل فاخرج إليّ ابنة أبي قحافة أخت أبي بكر، فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر: إنِّي أحرج عليك بيتي؛ فقال عمر لهشام: أدخل فقد أذنت لك، فدخل هشام فأخرج أمَّ فروة أخت أبي بكر، إلى عمر فعلاها بالدرة فضربها ضربات تفرّق النوح حين سمعوا ذلك).

قال في فتح الباري على شرح صحيح البخاري: قوله وقد أخرج عمر أخت أبي بكر حين ناحت، وصله ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح عن طريق الزهري عن سعيد ابن المسيب قال لما توفي أبو بكر أقامت عائشة عليه النوح فبلغ عمر فنهاهن فأبين فقال لهشام بن الوليد أخرج إليّ بنت أبي قحافة يعني أمَّ فروة، فعلاها بالدرة ضربات فتفرق النوائح حين سمعن بذلك ووصله إسحاق

ابن راهوية في مسنده من وجه آخر عن الزهري.

حدّث البخاري بإسناده عن ابن أبي مليكة قال: (توفيت ابنة لعثمان بمكة وجئنا لنشهدها، وحضرها ابن عمر وابن عباس وإنّي لجالس بينهما أو قال: جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي، فقال: عبد اللّه بن عمر لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء؟ فإنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه - وآله - وسلم قال: «إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، فقال ابن عباس: قد كان عمر يقول بعض ذلك ثم حدّث فقال: صدرت مع عمر من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سمرة، فقال: اذهب فانظر من هؤلاء الركب؟ قال: فنظرت فإذا صهيب، فأخبرته فقال: ادعه لي فرجعت إلى صهيب قلت: ارتحل فالحق أمير المؤمنين، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي ويقول، وا أخاه وا صاحباه، فقال عمر: يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه - آله - وسلم: «إنّ الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه»، قال ابن عباس: فلما مات عمر ذكر ذلك لعائشة فقالت:... واللّه ما حدّث رسول اللّه صلى اللّه عليه - وآله - وسلم إنّ اللّه ليعذب المؤمن ببكاء أهله عليه وقالت: حسبكم القرآن ﴿...وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾، قال ابن عباس عند ذلك: واللّه هو أضحك وأبكى، قال ابن

أبي مليكة والله ما قال ابن عمر شيئاً).

أقول: إنّ عائشة تشهد بآية من القرآن الكريم في الرد على عمر بمعنى كل إنسان يتحمل ما يعمل من سوء وما يرتكب من ذنب ويعاقب عليه وله الأجر والثواب لمن يعمل من خير ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾.

وتقول إنّ الحديث الذي نقله لم يحدّثه رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ إنّ ابن أبي مليكة ينفي ما قيل عن عبد الله بن عمر لعمر بن عثمان (ألا تنهى عن البكاء؟ فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»، ويقسم بالله تعالى (والله ما قال ابن عمر شيئاً) بأنّ عبد الله بن عمر لم ينقل هذا الكلام.

ومرة ثالثة نعرض هذا الكلام على العاقل فهل يقبله؟ ومسبقاً قيل حدّث العاقل بما لا يُعقل فإن صدّقك فلا عقل له.

إذن هذا الحديث لم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله بشهادة عائشة وهو معارض لظاهر القرآن وما كان معارضاً للقرآن يطرح جانباً ولا يؤخذ به والعقل يحكم بنبذه وتركه بالتالي نصل إلى أنّ البكاء جائز ولا ضير عليه ولا ترديد فيه.

ثم حدّث البخاري بإسناده إلى عمرة بنت عبد

الرحمن! أنّها سمعت عائشة زوج النبي صلى اللّه عليه وآله تقول: (إنّما مرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله على يهودية يبكي عليها أهلها فقال صلى اللّه عليه وآله: «إنّهم ليبكون عليها وإنّها لتعذّب في قبرها»).

وفي صحيح مسلم قالت عائشة: يغفر اللّه لأبي عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ إنّما مرّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله... الحديث.

إنّ عائشة في هذين الحديثين توجه البكاء المقارن بتعذيب صاحب القبر لحادثة بأنّ النبي صلى اللّه عليه وآله مرّ على قبر اليهودية وهي تعذب في قبرها بما اكتسبت في الحياة الدنيا أخبر النبي صلى اللّه عليه وآله بذلك الذي أخبره عالم الغيب اللّه سبحانه وتعالى وكان أهلها يبكون عليها كبقية الميتين يريد أن يقول صلى اللّه عليه وآله إنّ بكاء الأهل لا علاقة له ولا يكون سبباً لتعذيب الميت وإنّما يريد أن يخبر بأنّ صاحب القبر يعذب لسوء أفعاله وأعماله التي كان يعملها في الحياة الدنيا أما بكاء أهله فهذا شيء آخر وفعل آخر غير تعذيب صاحب القبر ولا يكون بسبب البكاء.

ǳyǶǕ ǼǨƿƿ ǴǼǄžƿ ǺǪǕ ǴǨƿ ǴøǪǕ Żƚ ǺǪǄž ǼɯǄǩƚ ǄǨǦƛ .ČČ

في المعجم الكبير للطبراني بإسناده عن ابن عباس قال: خرجت أنا والنبي صلى اللّه عليه وآله وعليٌّ عليه

السلام في حشان المدينة فمررنا بحديثة فقال عليٌّ عليه السلام: «ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله!»، فقال صلى الله عليه وآله: «فحديقتك في الجنة أحسن منها»، ثم أومأ بيده إلى رأسه ولحيته، ثم بكى حتى علا بكاؤه فقال علي عليه السلام: «ما يبكيك؟»، قال صلى الله عليه وآله: «ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني»).

وللحديث مصادر وطرق كثيرة.

رواه ابن عساكر بسبعة طرق في تاريخ مدينة دمشق منها:

بإسناده عن أبي عثمان النهدي، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله فأتينا على حديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسن هذه الحديقة، فقال صلى الله عليه وآله: ما أحسنها! ولك في الجنة أحسن منها، ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة! قال صلى الله عليه وآله: ولك في الجنة أحسن منها، حتى أتينا إلى سبع حدائق وفي كل ذلك أقول: يا رسول الله ما أحسنها! فيقول: ولك في الجنة، فلما أنْ خلا به الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال صلى الله عليه وآله: ضغائن في صدور

أقوام لا يبدونها لك إلا بعدي، فقلت في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك».

لقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله حقيقة وواقع ما يقع على أهل بيته من بعده من الجرائم والمآسي والقتل والتشريد والزج في السجون وهذا التاريخ والسير والحديث أمامنا ويحكي لنا ما جرى عليهم وما عانوه من ظلم من حكام الجور والطغاة فأظهر القوم من ضغائنهم فكانت السقيفة وحرب الجمل وحرب صفين والنهروان فحاربوا علياً وأهل بيته عليهم السلام وأشبعوهم تعذيباً وتشريداً وقتلاً ولعنوهم وسبُّوهم فوق المنابر ولم يراعوا لأهل هذا البيت عليهم السلام حرمة ولم يمتثلوا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته ويرسموه طريقاً مستقيماً يؤدي بهم إلى الهدف المنشود وإلى جنةِ المأوى وكأنما رسول الله صلى الله عليه وآله لم يوصِ بالمودة في ذي القربى وهذا القرآن يهتف بعالي الصوت ويقول: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾.

فجعل أمر الرسالة وأتعابها وما عانى منها أنْ نوصل أهل بيته وعترته عليهم السلام ونكيل لهم المودة والاحترام والمواصلة وهل طبقت الأمّة ما أراد رسولها؟ كلا ثم كلا.

فهذا سبطه وسيد شباب أهل الجنة يذبح كما

يذبح الكبش كما في بعض الروايات ظمآناً عطشاناً بجنب الفرات وتسبى عياله وأهل بيته ونساؤه يساقون من بلد إلى بلد ويتشمت بهم وينظر إليهم الوضيع والشريف والقريب والبعيد وليس معهن ولي ولا حامي مجزرين على رمضاء كربلاء! إلاّ العليل والأرامل والأيتام.

أنواع البكاء

ţƸĀǩŧ DƙĞƛ :ğƿàŧ ŬǸDzǩŧ

البكاء يختلف باختلاف الأحاسيس والانفعالات الإنسانية فمن الناس من يبكي فرحاً لشيء ناله أو معرفة اكتسبها وهذه المواقف تمرُّ على الشخص ويتفاعل معها ويتأثر بها فيعبر عنها بدموعه كما يقول اللّه سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مادحاً أهل المعرفة ﴿ وَإِذا سَمِعُوا ما أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ... ﴾.

أي أنَّهم تأثروا بما سمعوا وتفاعلوا معه واهتزّت مشاعرهم ولانت قلوبهم، وفاضلت أعينهم بالدمع.

وهذه الحالة (جريان الدمع) موجودة في النفس البشرية عندما تتأثر في أعلى درجاتها، وقد لا يعبر عن الحالة إلاّ بالدمع.

ثم إنّ هؤلاء الذين أشار لهم القرآن الكريم لا يكتفون

بالفيض من الدمع، ولا يقفون موقفاً سلبياً تجاه الحق الذي عرفوه من خلال سماعهم للقرآن الكريم، إنّهم لا يقفون موقف المتأثر الذي تفيض عيناه بالدمع ثمّ ينتهي أمره، إنّما هم يقدمون ليتخذوا من هذا الحق موقفاً إيجابياً صريحاً والاذعان لسلطانه بل يعلن هذا الإيمان وهذا الإذعان كما يصرح القرآن بذلك: ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَما لَنا لا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَما جاءَنا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنا رَبُّنا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾.

ǯʒƮǩƗ DǨǦƛ :ǼDZǨRǩƗ ǓǸDzǩƗ

يمرّ الإنسان في حياته بمواقف كثيرة مؤلمة ومحزنة ويتفاعل معها وينكس قلبه لأجلها فيعبّر عن ألمه وحزنه بدموع ترقرق عينيه أو تغسلها ويرتاح القلب وتسكن النفس كفقده لعزيز أو مفارقته له أو عدم نيله لحاجة كأولئك الذين عشقوا الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن لا يملكون العدة والعتاد والمال فاعتذر لهم فرجعوا آسفين محزونين، فجاء في قوله تعالى: ﴿ لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ... ﴾.

وهذا الدمع لا لشيء إلاّ لأنّهم حزنوا لعدم مشاركتهم الرسول صلى الله عليه وآله ﴿ ...حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ ﴾.

ففي رواية عن ابن عباس قال: (إنّ رسول الله صلى

اللّه عليه وآله أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد اللّه بن معقل ومقوى المازني فقالوا: يا رسول اللّه أحملنا، فقال لهم: «واللّه لا أجد ما أحملكم به فتولوا وهم يبكون»، وعزّ عليهم أنْ يجلسوا عن الجهاد، ولا يجدون نفقة ولا محملاً فلما رأى اللّه حرصهم على محبته ومحبة رسوله وأنزل عذرهم)، وقال ابن إسحاق في سياق تبوك: (ثم إنّ رجالاً من المسلمين أتوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وهم الباكون، وهم سبعة نفر من الأنصار، وغيرهم من بني عمرو بن عوف).

Ákküo Żł ŋǿ ǂ Ʊ ǰǭ ÐKĞшkł :ÞkkŖkł ŬŃDżkł

وهو أسمى وأعلى أنواع البكاء، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «...لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ أَعْظَمَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللّهِ مِنْ رَجُلٍ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللّه...».

وقال عليه السلام: «الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ يُنِيرُ الْقَلْبَ وَيَعْصِمُ مِنْ مُعَاوَدَةِ الذَّنْب».

وعنه عليه السلام قال: «الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مِفْتَاحُ الرَّحْمَة». وقال عليه السلام: «بِالْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ تُمَحَّصُ الذُّنُوب». السؤال الوارد هو: البكاء على الإمام الحسين عليه السلام هو أي نوع من أنواع البكاء؟

وهذا ما سنعرفه في الفصل الثالث من هذا الكتيّب.



الفصل الثالث

تواترت الأحاديث والأخبار في الحث على تذكّر مصائب أهل البيت عليهم السلام يوم الطف والبكاء عليهم ومشاركتهم في أحزانهم فقد كان جميع أئمة الهدى ينصبون المآتم ويعقدون المجالس ويأمرون الشعراء أنْ يندبوا الحسين عليه السلام ويبكون بشدة.

فقد روى الريان بن شبيب قال: (دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من شهر محرم فقال لي: «يابن شبيب... إنّ المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته؟ فما عرفت هذه الأُمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته وسلبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا بن شبيب إنْ كنت باكياً لشيء فابكِ للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فإنّه ذُبح كما يذبح الكبش وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون»).

ولعظم فاجعة الإمام الحسين عليه السلام بكى كل شيء، السماوات والأرض الجن والإنس حتى هزت الفاجعة الأليمة الملائكة ولذلك تدخّلوا لأنّهم لاحظوا من قبل حوادث ومواقف أقل فجاعة وظلماً من هذه الفاجعة فأثارت سخط اللّه فكان يغضب لأوليائه إذا طلبوا أنْ ينزل سخطه على هؤلاء القوم ولو أراد اللّه لما قُتل الحسين عليه السلام بهذه الطريقة الوحشية الهمجية البعيدة كل البعد عن الإنسانية ومبادئها وقوانينها، كما حدث لواقعة خروج النبي صلى اللّه عليه وآله من مكة ليلاً بعد ما أراد قومه أنْ يقتلوه في قصة مبيت الإمام عليٍّ عليه السلام على فراش النبي صلى اللّه عليه وآله عندما أجمع القوم واتفقوا على مهاجمة الدار وقتل النبي صلى اله عليه وآله وكان يعلم أنّه سيعود ظافراً لكنه عندما خرج من مكة في تلك الليلة تلفت إليها وبكى لأنّها كانت مسقط رأسه وفيها بيته وبيت أبيه وأمِّه وتاريخ أجداده إبراهيم وإسماعيل وعبد المطلب.

وروي عن النبي صلى اللّه عليه وآله والأئمة عليهم السلام من أجل بكاء النبي صلى اللّه عليه وآله غضب اللّه على مكة.

وهي البقعة التي تضم بيته الحرام فأعطى حكماً

شرعياً بمندوبية المبيت خارج مكة ليلاً ثم يعود إليها نهاراً وقد عمل بهذا الحكم الشرعي النبي صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي واقعة أُخرى غضب الله فيها على القوم ما روي عن قصة النبي صالح وما جرى على ثمود الذين عقروا الناقة يقول الله تعالى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾.

فإنّ الله لم يمهلهم بل قتلهم في مساء نفس اليوم الذي عقروا فيه الناقة.

إنّ الملائكة يعلمون بهذه الأمور ورأوا بأنّ ما يجري على الإمام الحسين عليه السلام هو أعظم بكثير من تلك الوقائع لذا توجهوا إلى الله يطلبون منه بعدم وقوعها.

وورد في كامل الزيارات عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: «مَرَّ بِالْحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةُ آلَافِ مَلَكٍ وَهُوَ يُقْتَلُ فَعَرَجُوا إِلَى السَّمَاءِ فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِمْ يَا مَعْشَرَ الْمَلَائِكَةِ مَرَرْتُمْ بِابْنِ حَبِيبِي وَصَفِيِّي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَهُوَ يُقْتَلُ وَيُضْطَهَدُ مَظْلُوماً فَلَمْ تَنْصُرُوهُ فَانْزِلُوا إِلَى الْأَرْضِ إِلَى قَبْرِهِ فَابْكُوهُ شُعْثاً غُبْراً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَهُمْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تَقُومَ الْقِيَامَةُ».

ولشدّة المصيبة وعظم الفاجعة أنزل الله سبحانه وتعالى ملائكته لتعزي الإمام الحسين عليه السلام

وتبكيه إلى يوم القيامة بمنظر المفجوع وبهيئة الحزين المظلوم الفاقد للأهل والأحبة والأعزة، نعم لقد غضب اللّه تعالى لمقتل الحسين عليه السلام وظهر غضبه في سماواته وأراضيه وما بينهما كما في الروايات، ففي مجمع الزوائد عن الزهري قال: ما رفع بالشام حجر يوم قُتل الحسين بن علي عليهما السلام إلاّ عن دم.

وفي كتاب الثقات لابن حبان عن سليمان القاص أبي إبراهيم قال: مطرنا يوم قُتل الحسين عليه السلام دماً.

وفي تهذيب الكمال عن علي بن مزهر عن جدته: لما قتل الحسين عليه السلام كانت جارية شابة فمكثت السماء بضعة أيام بلياليهن كأنّها علقة.

جميع الموجودات تبكي على الحسين عليه السلام

السماء والأرض وجميع الموجودات تبكي وتخشع وتتصدق لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام وظلمه وطريقة قتله وما حَلّ به وبأهل بيته وأصحابه عليهم السلام ولكن نحن لا نعرف ولا نفهم طريقة بكاء الموجودات وعدم معرفتنا بذلك لا يلزم أنّها لا تبكي ولا تتصدع كما أشار لذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿...وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾.

وآية أخرى فيه تقول: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ

وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِين﴾.

وقوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ مِنْها لَما يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ...﴾.

فالآية الأُولى تبين وتؤكّد على حقيقة وواقع بأنّ كل شيء يسبِّح ويقدس اللّه تعالى والشيء يشمل الحجر والمدر والشجر والجبال والسموات والأرض وما فيهن... ولكن نحن لا نفهم ولا نفقه تسبيحهم لأنّ آفاقنا وعقولنا محدودة لا تتعدى الفترة الزمنية التي نعيش فيها إلاّ من أراد اللّه سبحانه وتعالى له ذلك من نبي أو رسول أو وصي أو عبد صالح.

والآية الثانية تبيّن حقيقة واقعية ألا وهي بكاء السماوات والأرض ففي الحديث القدسي الشريف ورد: «يا بن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك».

فمن كان مؤمناً حريصاً على هذا الكون ملتزماً بما أمره اللّه سبحانه وتعالى يكن مصادقاً لهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون﴾.

فشخص مثل الإمام الحسين عليه السلام حق للكون أن يبكي ويحن عليه لأنّه فقد فرداً صالحاً مفيداً نافعاً.

ففي تفسير الطبري عن سعيد بن جبير قال: (أتى

ابن عباس رجل فقال: يا بن عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾، فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنّه ليس أحد من الخلائق إلاّ له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن وأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكى عليه كل شيء، وإذا فقد مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه، ولأنّ قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير فلذلك لم تبك عليهم السماء والأرض).

وفي التفسير نفسه عن مجاهد وغيره: (إنّ المؤمن إذا مات بكت عليه الأرض أربعين صباحاً وفيه عن شريح ابن عبيد الخضرمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ألا لا غربة على المؤمن، وما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه، إلاّ بكت عليه السماء والأرض»، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ﴾، قال: إنّهما لا يبكيان على كافر).

وفي تفسير ابن كثير عن مجاهد قال: (ما مات مؤمن إلاّ بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً قال:

فقلت له أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمّرها بالركوع والسجود وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل).

وقوله تعالى: ﴿...وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ...﴾ الذي جاء فيه أنّ اللّه سبحانه وتعالى أمر الملائكة أن تنزل إلى الأرض باكين شعثاً غبراً لمواساة الحسين عليه السلام والبقاء عنده إلى قيام الساعة.

وقال ابن كثير: (وقد ثبت في الحديث المتواتر أنّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله لمّا عمل له المنبر وقد كان يوم أعطيه يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي صلى اللّه عليه وآله ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حَنّ الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي.

وفي تفسير البغوي عن جابر بن سمرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله «إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أنْ أبعث وإنّي لأعرفه الآن» قال البغوي هذا حديث صحيح أخرجه مسلم.

إذن لو كانت هذه الآيات والروايات تثبت أنّ السماوات والأرض تبكي على الإنسان المؤمن وكذلك

جميع المخلوقات فكيف بسبط النبي صلى الله عليه وآله وابن خاتم الرسل الذي يمثل النبوة والرسالة وامتداداً لها فهو أحق بالبكاء لأنّ الحسين عليه السلام درجة إيمانه أعلى وهو سيد شباب أهل الجنة وتطبيقه للأحكام الشرعية أكثر من غيره بل لا يقاس بغيره لأنّه إمام معصوم.

مواساة آدم للحسين عليه السلام

إنّ مصيبة الحسين عليه السلام كبيرة وعظيمة وفاجعة حلت بالمسلمين جميعاً وكان أثرها على جميع الأجيال ولم يرد مثلها من قبل ولذلك نرى الأنبياء والأوصياء واسوا الحسين قبل أنْ يخلق.

فمنهم من واساه بالبكاء عليه وعلى مصيبته والفاجعة التي حلت به وبعياله وبأهل بيته كأبينا إبراهيم عليه السلام ومنهم من واساه بخروج الدم من جسمه كأبينا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام وغيرهم من الأولياء، كما يُفعل اليوم في تعزية الإمام الحسين عليه السلام وهذا درس حي نراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا وتحنّ وتخشع له قلوبنا وتذرف العين دموعها لأجله.

ولقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى آدم حين جرحت رجله في كربلاء بالقول: «يقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً فسال دمك موافقة لدمه».

فهذا أبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام يحزن ويتألم على مقتل الإمام الحسين عليه السلام قبل أن يخلق منذ كان اسمه مكتوباً بساق العرش مع الأشباح الأربعة التي كانت أنواراً (محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) لما أوحى الله إليه بأنّ هذه أرض كربلاء يقتل بها سبط النبي صلى الله عليه وآله وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فواساه أبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام بشعيرة خروج الدم المعبّر عنه (فسال دمك موافقة لدمه) باعتبار أنّ دم الحسين عليه السلام الزكي الطاهر سال على هذه الأرض فأبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام سال دمه عليه مواساة وتعزية له وتعبيراً عن حزنه وألمه للفاجعة الأليمة التي حلت به وبأهل بيته وأصحابه.

بكاء النبي إبراهيم على نبيّا وآله وعليه السلام على الحسين عليه السلام

إنّ إبراهيم النبي عزّى الإمام الحسين عليه السلام وعبّر عن حزنه وألمه بالبكاء عليه.

وقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام بأنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّه إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام بالقول: «...يَا إِبْرَاهِيمُ مَنْ أَحَبُّ خَلْقِي إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا خَلَقْتَ خَلْقاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَبِيبِكَ مُحَمَّدٍ صلى

اللّه عليه وآله، فَأَوْحَى اللّهُ تَعَالَى إِلَيْه: أَفَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ نَفْسُكَ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ: فَوُلْدُهُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ وُلْدُكَ؟ قَالَ: بَلْ وُلْدُهُ، قَالَ: فَذَبْحُ وُلْدِه ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِه أَوْجَعُ لِقَلْبِكَ أَوْ ذَبْحُ وُلْدِكَ بِيَدِكَ فِي طَاعَتِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ بَلْ ذَبْحُ وُلْدِه ظُلْماً عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِه أَوْجَعُ لِقَلْبِي، قَالَ: يَا إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ طَائِفَةً تَزْعُمُ أَنَّهَا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ سَتَقْتُلُ الْحُسَيْنَ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِه ظُلْماً وَعُدْوَاناً كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ وَيَسْتَوْجِبُونَ بِذَلِكَ سَخَطِي، فَجَزِعَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام لِذَلِكَ وَتَوَجَّعَ قَلْبُهُ وَأَقْبَلَ يَبْكِي...».

وأوحى اللّه تعالى إلى نبيه إبراهيم على نبيّنا وآله وعليه السلام أنّ الحسين يقتل على أيدي زمرة تدعي أنّها من أمّة محمد صلى اللّه عليه وآله الذي أوصاهم بذريته ومودتهم مقابل أجر الرسالة والتبليغ لها ولو أوصاهم بعكس ذلك لما ازدادوا ما فعلوا به وبأهل بيته عليهم السلام فلما سمع ذلك عبّر عن هذا المصاب الجلل بجزعه لقضية الإمام الحسين عليه السلام ولذا ورد الجزع مكروه.

فعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «إِنَّ الْبُكَاءَ وَالْجَزَعَ مَكْرُوهٌ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ مَا جَزِعَ، مَا خَلَا الْبُكَاءَ وَالْجَزَعَ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليهما السلام فَإِنَّهُ فِيهِ مَأْجُورٌ».

بكاء النبي محمد صلى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام

أمين الوحي جبرائيل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وآله بمقتل الإمام الحسين عليه السلام وهو لا يزال صغيراً وبكى عليه وعلى مصيبته وعلى ظلامته وذرف دموعه على خديه والحسين عليه السلام جالس في حجره.

فروي عن أمّ سلمة رضوان الله عليها أنّها قالت: (بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ وَالْحُسَيْنُ عليه السلام جَالِسٌ فِي حَجْرِهِ إِذْ هَمَلَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِي أَرَاكَ تَبْكِي جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ: «جَاءَنِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام فَعَزَّانِي بِابْنِيَ الْحُسَيْنِ وَأَخْبَرَنِي أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي تَقْتُلُهُ لَا أَنَالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي»).

وفي رواية أخرى عن أمّ سلمة أيضاً قالت: (كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فِي بَيْتِي فَقَالَ: «لَا يَدْخُلْ عَلَيَّ أَحَدٌ» فَجَاءَ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَهُوَ طِفْلٌ فَمَا مَلَكَتْ مَعَهُ شَيْئاً حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ فَدَخَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَلَى أَثَرِهِ فَإِذَا الْحُسَيْنُ عليه السلام عَلَى صَدْرِهِ وَإِذَا النَّبِيُّ يَبْكِي وَإِذَا فِي يَدِهِ شَيْءٌ يُقَلِّبُهُ فَقَالَ النَّبِيُّ «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّ هَذَا جَبْرَئِيلُ يُخْبِرُنِي أَنَّ هَذَا مَقْتُولٌ وَهَذِهِ التُّرْبَةُ الَّتِي

يُقْتَلُ عَلَيْهَا فَضَعِيهِ عِنْدَكِ فَإِذَا صَارَتْ دماً فَقَدْ قُتِلَ حَبِيبِي»).

ما هذه الشخصية؟ وما أعظمها؟

كل شيء يحزن لمقتله وتبكيه الملائكة، الجن، الإنس، السماوات، الأرض، الجبال، الحجر، الشجر، الأنبياء، الأوصياء، الصالحين، وهذا كله قليل مقابل تضحيات الحسين عليه السلام وما فعل بنو أمية به وبأهل بيته وأصحابه لأجل بقاء الإسلام وعدم تغيير أحكامه وتبقى راية الإسلام عالية خفاقة يجتمع المسلمون تحت ظلها.

وعن نجي الحضرمي أنَّه سار مع عليٍّ عليه السلام، وكان صاحب مطهرته فلما حاذى نينوى، وهو منطلق إلى صفين فنادى علي: (عَنْ عَبْدِ اللّه بْنِ يَحْيَى قَالَ: دَخَلْنَا مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام إِلَى صِفِّينَ فَلَمَّا حَاذَى نَيْنَوَى نَادَى: «صَبْراً أَبَا عَبْدِ اللّه»، فَقَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّه صلى اللّه عليه وآله وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللّه مَا لِعَيْنَيْكَ تَفِيضَانِ أَغْضَبَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: لاَ بَلْ كَانَ عِنْدِي جَبْرَئِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ يُقْتَلُ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ أُشِمَّكَ مِنْ تُرْبَتِه؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَمَدَّ يَدَهُ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ وَأَعْطَانِيهَا فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ أَنْ فَاضَتَا»).

فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يبكي على الحسين عليه السلام حين أخبره الرسول صلى الله عليه وآله بما يجري على ولده فهو عليه السلام ذكر هذا الموقف خلال مروره على أرض كربلاء عندما ذهب إلى صفين، وهذا يكشف عن أهمية قضية الإمام الحسين عليه السلام ولولاه ولولا ثورته المباركة ضد الظالمين والطغاة ودماؤه الزكية التي سالت على أرض كربلاء لما بقي من الإسلام إلاّ اسمه ولا من القرآن إلاّ رسمه، ولكن بفضل الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام حفظ الإسلام وعلّمت الأجيال الحرية والاستقلال وكيفية الوقوف بوجه السلاطين الطغاة والظالمين البغاة الخارجين على شريعة نبيهم وأحكام دينهم وكسر طوق الظلم والاحتكار.

يوم عاشوراء أعظم الأيام مصيبة

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليهما السلام: يَابْنَ رَسُولِ اللهِ كَيْفَ صَارَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مُصِيبَةٍ وَغَمٍّ وَجَزَعٍ وَبُكَاءٍ دُونَ الْيَوْمِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَالْيَوْمِ الَّذِي مَاتَتْ فِيهِ فَاطِمَةُ عليها السلام وَالْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ الْحَسَنُ عليه السلام بِالسَّمِّ؟ فَقَالَ: «إِنَّ

يَوْمَ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَعْظَمُ مُصِيبَةً مِنْ جَمِيعِ سَائِرِ الأَيَّامِ وَذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكِسَاءِ الَّذِي كَانُوا أَكْرَمَ الْخَلْقِ عَلَى اللّهِ تَعَالَى كَانُوا خَمْسَةً فَلَمَّا مَضَى عَنْهُمُ النَّبِيُّ صلى اللّه عليه وآله بَقِيَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام فَكَانَ فِيهِمْ لِلنَّاسِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام كَانَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهم السلام لِلنَّاسِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَى مِنْهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عليهما السلام عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا مَضَى الْحَسَنُ عليه السلام كَانَ لِلنَّاسِ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام لَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ الْكِسَاءِ أَحَدٌ لِلنَّاسِ فِيهِ بَعْدَهُ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ فَكَانَ ذَهَابُهُ كَذَهَابِ جَمِيعِهِمْ كَمَا كَانَ بَقَاؤُهُ كَبَقَاءِ جَمِيعِهِمْ فَلِذَلِكَ صَارَ يَوْمُهُ أَعْظَمَ مُصِيبَةً»، قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ: فَقُلْتُ لَهُ يَابْنَ رَسُولِ اللّهِ: فَلِمَ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَزَاءٌ وَسَلْوَةٌ مِثْلَ مَا كَانَ لَهُمْ فِي آبَائِهِ عليهم السلام؟ فَقَالَ: «بَلَى إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ كَانَ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ وَإِمَاماً وَحُجَّةً عَلَى الْخَلْقِ بَعْدَ آبَائِهِ الْمَاضِينَ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ رَسُولَ اللّهِ صلى اللّه عليه وآله وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ وَكَانَ عِلْمُهُ وِرَاثَةً عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى اللّه عليه وآله وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهم السلام قَدْ شَاهَدَهُمُ النَّاسُ مَعَ رَسُولِ اللّه صلى اللّه عليه وآله في أَحْوَالٍ في آنٍ يَتَوَالَى فَكَانُوا مَتَى نَظَرُوا إِلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ تَذَكَّرُوا حَالَهُ مَعَ رَسُولِ اللّه صلى اللّه عليه وآله وَقَوْلَ رَسُولِ اللّه لَهُ وَفِيهِ فَلَمَّا مَضَوْا فَقَدَ النَّاسُ مُشَاهَدَةَ الْأَكْرَمِينَ عَلَى اللّه عَزَّ وَ جَلَّ وَلَمْ يَكُنْ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ فَقْدُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا فِي فَقْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِأَنَّهُ مَضَى آخِرَهُمْ فَلِذَلِكَ صَارَ يَوْمُهُ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ مُصِيبَةً...».

أقول: إنّ الإمام الصادق عليه السلام يذكر مزية من مزايا الإمام الحسين عليه السلام إضافة إلى المزايا والمصائب الأُخرى التي حلت به عليه السلام والتي جعلت مصيبته عظيمة ورزيته فاقت الرزايا ولم تكن قبلها ولا بعدها أعظم منها سوءاً وفعلاً وتعذيباً وتمثيلاً وظلامة فهذا كله فعلوه بنو أُمية ولم يراعوا لرسول اللّه صلى اللّه عليه وآله حرمة وقرابة ومودة فأكبهم اللّه في قعر جهنم على وجوههم وزادهم خزياً وعاراً في الدنيا وعذاباً وناراً في الآخرة ويقول الإمام الحسن الزكي عليه السلام: «لا يوم كيومك يا أبا عبد اللّه».

وهذه شهادة أُخرى ليوم عاشوراء من قبل إمام معصوم وسيد شباب أهل الجنة الذي يعظّم فيه يوم عاشوراء ويوم الحسين عليه السلام يوم المصيبة الكبرى

التي لم تقع مثلها مصيبة لا قبلها ولا بعدها ولا يكون يوم مثل يوم أبي عبد اللّه بما وقع فيه من مآسٍ وآلام وجرائم لم تقع مثلها في الماضي ولن تقع في الحاضر ولا في المستقبل وشهادة ثالثة على عظمة يوم عاشوراء من الإمام المعصوم علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي قال فيه: «...إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ...».

يا له من يوم عظيم وفاجعة كبرى وحادثة أليمة وحزينة أخذت مأخذها من الإمام المعصوم حيث أجرحت العيون وأسبلت الدموع وذلت العزيز ساعد اللّه قلب العالمة غير المعلمة زينب الكبرى التي رأت تلك المصائب والمواقف بعينها فصبرت وتحملت وجاهدت ودافعت حتى تلقى أجرها عند مليكٍ مقتدر لا يضيع عنده أجر العاملين ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾.

الآثار المترتبة في البكاء على الحسين عليه السلام

تظهر الآثار في المواقف التي تمر على الإنسان والمنازل التي ينزل فيها.

3KNJq f èt :ğpàł ğzDž3kł

المحتضر يمرّ بحالات صعبة لما يعانيه في جسمه

من مرض وآلام وتألمه لمفارقته للدنيا وما له فيها من علائق وانفصاله عنها كماله وأولاده وأصعب الساعات التي تمرُّ على حياة الإنسان هي ساعات الاحتضار، حيث يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «أبكي لخروج نفسي».

فالإنسان لا يعلم بأي حالة يودّع الدنيا، بحالة إيمان وتقوى أم بحالة كفر وإلحاد والعياذ بالله، ولكي يطمئن بخروجه منها ويسلم نفسه إلى بارئها راضية مرضية فعليه أنْ يبكي على الإمام الحسين عليه السلام ومصيبته ويتذكر ما جرى عليه وعلى عياله وأهل بيته وأصحابه من ظلم وجور.

فعن مسمع كردين قال: قال لي أبو عبد الله: «يَا مِسْمَعُ أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَمَا تَأْتِي قَبْرَ الْحُسَيْنِ عليه السلام؟»، قُلْتُ: لاَ أَنَا رَجُلٌ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَعِنْدَنَا مَنْ يَتَّبِعُ هَوَى هَذَا الْخَلِيفَةِ وَعَدُوُّنَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَبَائِلِ مِنَ النُّصَّابِ وَغَيْرِهِمْ وَلَسْتُ آمَنُهُمْ أَنْ يَرْفَعُوا حَالِي عِنْدَ وُلْدِ سُلَيْمَانَ فَيُمَثِّلُونَ بِي، قَالَ لِي: «أَفَمَا تَذْكُرُ مَا صُنِعَ بِهِ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَتَجْزَعُ؟»، قُلْتُ إِي وَاللّه وَأَسْتَعْبِرُ لِذَلِكَ حَتَّى يَرَى أَهْلِي أَثَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ فَأَمْتَنِعُ مِنَ الطَّعَامِ حَتَّى يَسْتَبِينَ ذَلِكَ فِي وَجْهِي، قَالَ: «رَحِمَ اللّهُ دَمْعَتَكَ أَمَا إِنَّكَ مِنَ الَّذِينَ يُعَدُّونَ مِنْ أَهْلِ الْجَزَعِ

لَنَا وَالَّذِينَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَخَافُونَ لِخَوْفِنَا وَيَأْمَنُونَ إِذَا أَمِنَّا أَمَا إِنَّكَ سَتَرَى عِنْدَ مَوْتِكَ حُضُورَ آبَائِي لَكَ وَوَصِيَّتَهُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ بِكَ وَمَا يَلْقَوْنَكَ بِهِ مِنَ الْبِشَارَةِ أَفْضَلُ وَلَمَلَكُ الْمَوْتِ أَرَقُّ عَلَيْكَ وَأَشَدُّ رَحْمَةً لَكَ مِنَ الأُمِّ الشَّفِيقَةِ عَلَى وَلَدِهَا...».

هذا أحد المواقف التي يمر بها المحتضر ويحضر عنده أهل البيت عليهم السلام والشخص الذي بكى على الإمام الحسين عليه السلام وجرت دموعه بل ومن تباكى أيضاً يكون قرير العين في ذلك الموقف وهو بحاجة إلى من ينقذه ويخلصه من الأهوال والأحوال التي يعاني منها والتي تمرُّ عليه فروحه تخرج برفق ويكون ملك الموت أشفق عليه من أمّه، أما الإنسان الكافر الجاحد فتخرج روحه بقوة وبشدة على سفود من نار نعوذ باللّه تعالى من هذا المصير.

ƸɯǢǩƗ :ǼǄƘƦǩƗ ǧƷǄƷǩƗ

يمرُّ الميت في مرحلة لم يمر عليها مسبقاً وفي حياة غير مألوفة فالموت يعني انتقالاً من مرحلة إلى مرحلة أخرى ومن حياة مع البشر إلى حياة مع الأرواح فهو ليس فناءً ولا نهاية نعم هو مخيف ومرعب جداً.

جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه: عندما تريدون دفن الميت فلا تضعوه دفعة واحدة في القبر؛ إنْ كان

رجلاً فمستحب أنْ يوضع على بُعد سبعة أقدام من أسفل القبر، وإنْ كانت امرأة فيستحب أنْ توضع على بُعد سبعة أقدام من قبلة القبر ولتُرفع الجنازة وتوضع ثلاث مرات (إِذَا أَتَيْتَ بِالْمَيِّتِ الْقَبْرَ فَلاَ تَفْدَحْ بِهِ الْقَبْرَ فَإِنَّ لِلْقَبْرِ أَهْوَالاً عَظِيمَةً وَتَعَوَّذْ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ وَلَكِنْ ضَعْهُ قُرْبَ شَفِيرِ الْقَبْرِ وَاصْبِرْ عَلَيْهِ هُنَيْئَةً ثُمَّ قَدِّمْهُ قَلِيلاً وَاصْبِرْ عَلَيْهِ لِيَأْخُذَ أُهْبَتَهُ ثُمَّ قَدِّمْهُ إِلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ).

وصعوبة ذلك يشير إليها الإمام السجاد عليه السلام بقوله: «...أَبْكِي لِظُلْمَةِ قَبْرِي أَبْكِي لِضِيقِ لَحْدِي أَبْكِي لِسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ...».

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام جاء أنّهم يحضرون للمؤمن في عدة مواضع ذات أهوال ومصاعب منها الاحتضار وبعد الموت وفي القبر.

فعن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إِنَّ الْمُوجَعَ قَلْبُهُ لَنَا لَيَفْرَحُ يَوْمَ يَرَانَا عِنْدَ مَوْتِهِ فَرْحَةً لاَ تَزَالُ تِلْكَ الْفَرْحَةُ فِي قَلْبِهِ حَتَّى يَرِدَ عَلَيْنَا الْحَوْضَ...».

وعن الفضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «...مَا مِنْ عَبْدٍ يُحْشَرُ إِلاَّ وَعَيْنَاهُ بَاكِيَةٌ إِلاَّ الْبَاكِينَ عَلَى جَدِّيَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَإِنَّهُ يُحْشَرُ وَعَيْنُهُ قَرِيرَةٌ...».

أقول: فرحة ما بعدها فرحة غبطة ما بعدها غبطة مِنْ مثل هذا الميت وهو يزيّن قبره وينوّره بنور الحسين عليه السلام لبكائه عليه وعلى مصيبته الكبرى حيث يأتيه أبو الأحرار فينجيه ويخلصه بما هو فيه من أهوال ومصاعب ويأخذ بيده إلى طريق الأمان ويسلك به إلى سبيل جنة المأوى فهنيئاً له لما فعل.

Ưɛƹɯǩƚ :ƤǩƙƦǩƚ ğʒǲƷǩƚ

وهو المنزل الذي ما بين القبر والقيامة، ويمكن أنْ يكون الإنسان فيه من الصالحين وفي نعيم وفي وادي السلام بجوار أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام وقد غادر الدنيا بطهارة تامة وإيمان خالص وأعمال صالحة فهو في سعادة تامة في عالم البرزخ، ويمكن أنْ يكون فيه من العاصين الأشقياء الذين خرجوا من الدنيا وأيديهم ملوثة بالذنوب والآثام وذممهم معلقة بحقوق الآخرين ويكون العبد في ضيق في ذلك المنزل إلاّ أن تناله رحمة من ربه أو العمل الصالح الذي يكون قرينه في ذلك المنزل والإنسان غير المعصوم يمكن أن يرتكب المعصية سواء كانت غيبة أو إهانة أحد ما في يوم من الأيام أو في ذمته حق لشخص أو غير ذلك فما هو العلاج حينئذٍ يا ترى؟

فالإمام الصادق عليه السلام يجيب عن هذا السؤال

عبر الحديث الشريف بقوله: «وإنّ الموجع قلبه فينا ليفرح فيه»، أي أنّ الشخص الذي يتوجع ويتألم لمصائب أهل البيت عليهم السلام وأحزانهم وينصب المآتم ويذرف الدموع لأجلهم سيكون فرحاً مستبشراً في ذلك المكان لأنّهم يأتون إليه وينجونه منه ومن أهواله.

ŋǬĶǾÆǩł ǫÑǽ ǜāÑǬ Æә

يوم القيامة هو يوم فزع واضطراب وعقبة صعبة وقد سماه تعالى بيوم الفزع الأكبر وليس هناك من لا يكون مضطرباً في هذا اليوم، قال تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها...﴾.

ولابد للعاقل الحصول على الأمان في يوم القيامة، وعلى الإنسان أنْ يعمل بما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ السَّعْيَ فِي حَوَائِجِه يَوْمَ عَاشُورَاءَ قَضَى اللّهُ لَهُ حَوَائِجَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَمَنْ كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مُصِيبَتِه وَحُزْنِه وَبُكَائِه يَجْعَلُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَة يَوْمَ فَرَحِهِ وَسُرُورِهِ وَقَرَّتْ بِنَا فِي الْجِنَانِ عَيْنُه...».

فإذا عمل ذلك كان له أمن وأمان ويُسر، وخلاص من الفزع الأكبر.

والموقف الصعب الآخر هو يوم الحساب ولا يعلم الإنسان المدة التي يقف فيها بين يدي خالقه فهي تختلف باختلاف الأشخاص فبعضهم يطول وقوفه لما اكتسبت أيديهم من أعمال مشينة أثقّلت كاهله وخفّت موازينه لا يغني ولا يسمن من جوع فالبائس الذي يطول حسابه يكون في عذاب وقلق شديدين لا يدري ما هو مصيره إلى جهنم والعياذ بالله أم إلى الجنة.

أما البعض الآخر وهم الذين عملوا الصالحات وثقلت موازينهم وكانوا يحزنون لمصاب الحسين عليه السلام ويبكون ويذرفون الدموع لذلك فهم محشورون في زمرة آل محمد مع الأئمة الأطهار عليهم السلام وذنوبهم مغفورة.

فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «...يَا دِعْبِلُ مَنْ بَكَى وَأَبْكَى عَلَى مُصَابِنَا وَلَوْ وَاحِداً كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللّه، يَا دِعْبِلُ مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مُصَابِنَا وَبَكَى لِمَا أَصَابَنَا مِنْ أَعْدَائِنَا حَشَرَهُ اللّهُ مَعَنَا فِي زُمْرَتِنَا، يَا دِعْبِلُ مَنْ بَكَى عَلَى مُصَابِ جَدِّيَ الْحُسَيْنِ غَفَرَ اللّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ الْبَتَّةَ...».

وفي بعض الروايات أنّ هؤلاء تحت العرش وفي ظله، قال الإمام الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُحْشَرُ إِلاَّ وَعَيْنَاهُ بَاكِيَةٌ إِلاَّ الْبَاكِينَ عَلَى جَدِّيَ الْحُسَيْنِ عليه

السلام... وَهُمْ حُدَّاثُ الْحُسَيْنِ عليه السلام تَحْتَ الْعَرْشِ وَفي ظلِّ الْعَرْشِ لا يَخَافُونَ سُوءَ يَوْمِ الْحِسَابِ يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَيَأْبَوْنَ وَيَخْتَارُونَ مَجْلِسَهُ وَحَدِيثَه...».

الخاتمة

إنّ مما ذكرناه سابقاً في الحزن على مصاب الحسين عليه السلام والبكاء عليه تظهر لنا النتائج التالية:

١. البكاء على الحسين عليه السلام هو من الدروس التي تعلمناها منه، إذ قال عليه السلام: «أنا قتيل العَبرة» ما ذُكر عند شخص إلاّ وبكى واستعبر لما جرى عليه من المصائب والقتل عليه السلام ولمصيبته التي حلت به، وتألّم وحزن لمصابه وظلمه واضطهاده لأنّه فعل كل ذلك لله يقول النبي صلى الله عليه وآله: «...إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَبْرُدُ أَبَداً...».

٢. إنّ البكاء على الحسين عليه السلام فيه أجر وثواب وأنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يثيب على ذلك وأجر الله لا يحد بحد لأنّه هو الجواد الكريم وعنده ينتهي الجود.

قال الإمام الرضا عليه السلام لدعبل: «...يَا دِعْبِلُ مَنْ بَكَى وَأَبْكَى عَلَى مُصَابِنَا وَلَوْ وَاحِداً كَانَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ...».

وفي رواية أُخرى أنّ رحمة الله تشمل الباكي على

الحسين عليه السلام وتحف به قبل أن تخرج الدمعة من عينه فإذا سالت على خده لو سقطت على نار جهنم لأطفأت حرها.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «...مَا بَكَى أَحَدٌ رَحْمَةً لَنَا وَلِمَا لَقِينَا إِلاَّ رَحِمَهُ اللّه قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ الدَّمْعَةُ مِنْ عَيْنِهِ فَإِذَا سَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدِّهِ فَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنْ دُمُوعِهِ سَقَطَتْ فِي جَهَنَّمَ لَأَطْفَأَتْ حَرَّهَا حَتَّى لاَ يُوجَدَ لَهَا حَر...».

٣. يغفر اللّه ذنوب من بكى على الإمام الحسين عليه السلام ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «مَنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ وَلَوْ مِثْلَ جَنَاحِ الذُّبَابِ غَفَرَ اللّه ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

هكذا تكون الآثار الوصفية للدموع التي سقطت على مصاب أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام وعلى أهل البيت صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين فإنّها تمحو الذنوب الكثيرة وتأخذ بصاحبها إلى الجنة.

٤. من بكى على الإمام الحسين عليه السلام وذرفت عيناه لمصابه حشره اللّه مع محمد وآل محمد في زمرتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال الإمام الرضا عليها لسلام لدعبل الخزاعي: «..يَا دِعْبِلُ مَنْ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مُصَابِنَا وَبَكَى لِمَا أَصَابَنَا مِنْ

أَعْدَائِنَا حَشَرَهُ اللّه مَعَنَا فِي زُمْرَتِنَا...».

وروي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «...أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ فِينَا لِأَذًى مَسَّنَا مِنْ عَدُوِّنَا فِي الدُّنْيَا بَوَّأَهُ اللّه بِهَا فِي الْجَنَّةِ مُبَوَّأَ صِدْقٍ...».

٥. من أوذي في سبيل الإمام الحسين عليه السلام أو مسه أذى لأجل أهل البيت عليهم السلام ودمعت عيناه لأجل ذلك فكانت دمعته أماناً له من عذاب النار وصرف اللّه عن وجهه الأذى.

فقد روي عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «...أَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَسَّهُ أَذًى فِينَا فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ دَمْعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ مِنْ مَضَاضَةِ مَا أُوذِيَ فِينَا صَرَفَ اللّه عَنْ وَجْهِهِ الأَذَى وَآمَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِهِ وَالنَّارِ...».

٦. أحد السبل في دخول الجنة هو ذرف الدموع لمصيبة أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام فعن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: «...مَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ مِنَ الدَّمْعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ».

وقال الرسول الأكرم صلى اللّه عليه وآله: «...كُلُّ مَنْ

بَكَى مِنْهُمْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ أَخَذْنَا بِيَدِهِ وَأَدْخَلْنَاهُ الْجَنَّةَ يَا فَاطِمَةُ كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنٌ بَكَتْ عَلَى مُصَابِ الْحُسَيْنِ فَإِنَّهَا ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ».

وعن ربيع بن منذر الثوري، عن أبيه قال: سمعت علي الحسين بن علي عليهم السلام يقول: «مَنْ دَمَعَتْ عَيْنُهُ دَمْعَةً، أَوْ قَطَرَتْ عَيْنُهُ فِينَا قَطْرَةً أَثْوَاهُ اللّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ حِقَبًا، وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ أَخْرَجَتْهُ مِنْهَا».

ما ذكره أهل البيت عليهم السلام من الآثار الدنيوية والأُخروية في زيارة الحسين عليه السلام والبكاء عليه والحزن لمصابه غفيرة ولا يمكن إحصاؤها.

فهناك آثار أُخروية لا نعلمها لمن بكى أو أبكى أو تباكى على الحسين عليه السلام، جعلنا اللّه وإياكم من المتمسكين بولاية أهل البيت عليهم السلام ومن السائرين على نهجهم، إنّه سميع مجيب.

السيد شبيب الخرسان